الحضور الصوفي في المجتمع المغربي: العلاقات والوظائف

أ.د.رشيد كُهُوس

جامعة عبد المالك السعدي-المغرب

ملخص البحث:

هذا البحث دراسة للحضور الصوفي في المجتمع المغربي، من خلال إبراز أهم وظائفه الاجتماعية التي نبرزها في الأهداف الآتية:

- إبراز أهم الأبعاد الاجتماعية للتصوف المغربي.
- الكشف عن عناية التصوف بقضايا المجتمع الأساسية (الدعوة، الأمن، التكافل، التعليم، التنمية...).
- بيان حاجة المجتمعات المعاصرة إلى روح التصوف واسترداد فاعليته في البناء الاجتماعي.

وينطلق من الفروع الآتية لتحقيق ما سلف من الأهداف:

أولا- النهوض بالجانب الديني الدعوي للمجتمع

ثانيا- التصوف والعمل الخيري والتكافل الاجتماعي.

ثالثا- العناية بالعلم والتعليم..

رابعا- حماية المجتمع والدفاع عنه.

الكلمات المفتاحية: الحضور، التصوف، المجتمع، المغرب

Sufi presence in Moroccan society: Relationships and jobs

Prof. Rashid Mohamed Kohouss

Abdel Malek Saadi University, Morocco

Abstract

This research is a study of the Sufi presence in Moroccan society, by highlighting its most important social functions, which we highlight in the following objectives:

Highlighting the most important social dimensions of Moroccan mysticism.

Exposing the attention of Sufism to basic community issues (advocacy, security, solidarity, education, development.(...

-Explaining the need for contemporary societies for the spirit of Sufism and recovering its effectiveness in social construction.

Elements of the subject:

In order to achieve the previous objectives, I will pay attention to the following branches:

First - the advancement of the religious aspect of society

Second - Sufism, charitable work and social solidarity.

Third - Care for science and education.

Fourth - Protecting and defending society.

Key words: existence, mysticism, society, Morocco

المقدمة:

إن التصوف المغربي لم تنحصر وظيفته في التزكية فقط، وإنما بالإضافة إلى ذلك عمل على إصلاح المجتمع وصناعة أمنه واستقراره وتحقيق تنميته؛ وفق رؤية أخلاقية كلية، تجمع بين إصلاح الإنسان وبناء المجتمع، وعمارة الوجدان والأوطان.

لقد كان التصوف حاضرا في المجتمع، عبر التاريخ وأسهم إسهاما كبيرا في صناعة المجتمع الآمن وفق ثنائية التحلية والتخلية التي شكلت داخل النسق الصوفي العمود الفقري والمرتكز الأساس لكل معالجة تهدف إلى إصلاح الإنسان وبناء العمران.

فليس مبدأ التخلية يختص بتهذيب النفس وتنقيتها من شوائبها وأدرانها، وقطع الشواغل المبعدة عن جمع الهمة على الله تعالى، وليست التحلية تمثُّل القيم الروحية والمحامد الخلقية في النفس والسلوك، بل إن غاية السلوك الصوفي أن يكون أنموذجا كاملا للتخلق، ومثالا دالا على عالم الفضيلة، تظهر آثاره في المجتمع الذي يتحرك فيه.

ومن ثم فإن التصوف يهدف إلى التسامي بالمجتمع إلى مراقي عالية، ذوقا ووجدانا، وأمنا وأمانا، وتنمية وبناء، وحياة طيبة وعمرانا..

ذلك بأن أعلام التصوف المغربي عملوا على التفاعل مع قضايا المجتمع في مجالات مختلفة: (دعوية، تضامنية، تكافلية، تعليمية، أمنية، تنموية...) قدّمت فيه الزوايا الشيء الكثير خدمة للمجتمع، ورفعا للضيق عنه، وصناعة لأمنه وتحقيقا لأمانه.

ويكفي أن نستقرئ بعض الكتب المنقبية التي أرَّخت لأعلام التصوف بالمغرب، لنقف على هذا التواصل بين عالم المثال والواقع الاجتماعي في التصوف المغربي الذي يعتبر أنموذجًا رائدًا في هذا النسق المرتبط بقضايا المجتمع ومشكلاته.

ومن ثم برز التصوف بالمغرب فاعلا في المجتمع، بتقديم كل ما من شأنه أن يخفف من الصدمات والآلام، ويفرج الكربات والهموم، ويحقق الأمن الاجتماعي على كافة المستويات (الدين والنفس والعرض والمال والعقل...).

لذلك لابد من إبراز هذه الخصوصية التي تكشف عن أثر التصوف المغربي في بناء المجتمع الآمن من خلال المجالات التي خدمها في الواقع الاجتماعي المعيش، والتي من شأنها أن تزيل الادعاء بسلبية التصوف وتبين علاقته اللصيقة بالمجتمع.

وهكذا؛ فإن التصوف المغربي بنقائه وصفائه واقتباسه من مشكاة النبوة وجذوتها، كفيل أن يسهم الإسهام الكبير في صناعة أمن المجتمع من خلال التربية الروحية ودلالة الخلق على الخالق وربطهم به، وتوثيق روابط الأخوة والمحبة بينهم، ودفعهم إلى التكافل والتضامن والتعاون على البر والتقوى وعلى كل خير يعود بالأمن والأمان على مجتمعهم.

أسئلة الموضوع: فكيف كان الحضور الصوفي في المجتمع؟ ماهي أهم الأبعاد الاجتماعية للتصوف؟ وما هي الآثار الناتجة عن ذلك؟

أهداف الموضوع:

يهدف هذا الموضوع إلى ما يلي:

- إبراز أهم الأبعاد الاجتماعية للتصوف المغربي.
- الكشف عن عناية التصوف بقضايا المجتمع الأساسية (الدعوة، الأمن، التكافل، التعليم، التنمية...).
- بيان حاجة المجتمعات المعاصرة إلى روح التصوف واسترداد فاعليته في البناء الاجتماعي.

عناصر الموضوع:

تحقيقا للأهداف السابقة سأولي العناية بالفروع الآتية:

أولا–الحضور الدعوي في المجتمع.

ثانيا–التصوف والعمل الخيري والتكافل الاجتماعي.

ثالثا– الحضور الصوفي في مجال العلم والتعليم.

رابعا–حماية المجتمع والدفاع عنه.

الفرع الأول: الحضور الدعوي في المجتمع

اهتم الصوفية الكرام بترسيخ عقيدة التوحيد في المجتمع وتصحيح معانيها في النفوس وذلك عن طريق دعوة الناس والأخذ بأيديهم إلى طريق النجاة، طريق لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وهو ما يلاحظ في الأوراد التي يلزم بها الشيوخ المريدين، والتي عمادها الإكثار من ذكر (لا إله إلا الله)، لتحقيق سلام روحي واعتقاد صحيح لا يشوبه تشبيه أو تعطيل، منطلقين من حديث

سيدنا رسول الله ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»(١).

وقد بذل رجال التصوف بالمغرب جهودا كبيرا في الدعوة إلى توحيد تعالى وإفراده بالعبادة والإخلاص فيها، قال الإمام أبو يحيى السائح –رحمه الله–: "وجدت في جزائر بحر المغرب أقواما لا يعرفون الإسلام. فعلمت الرجال والنساء الإسلام والشرائع ولم أفارقهم حتى كانوا يصلون صلاة التسبيح"(٢).

والمواقف التي تدل على حملهم للواء الدعوة أكثر من أن تحصى، ومن هذه النماذج المشرقة الشيخ عبد الله بن محمد الهبطي من أهل طنجة (ت: ٩٣٠هـ) –رحمه الله– الذي كان يعلم الناس مبادئ الدين وأخلاقه، وكان كثيرا ما يحض على فهم مدلول كلمة التوحيد، عملا بقول رسول الله ﷺ: «فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»(٣). وفتح زاويته لهم، فكانت روضة لتلاوة القرآن وذكر الله تعالى والدعاء والصلاة وسائر القربات.. حتى يؤدي السالك إلى الله تعالى فروض ولائه لله تعالى وعبادته في نشوة الكلف المحبور، لا المكلف المأمور..

وكانت سيرة الشيخ الهبطي رحمه الله الذكر والذكرى، وبذل النصيحة لكافة الورى (٤). وفضلا عن ذلك؛ فقد كان يتصل بأعيان كل قبيلة يصل إليها، ويعقد معهم جلسات طويلة ويجمع الناس حوله ويسألهم عن قضايا في شؤون الدين والدنيا، ويسأل بصفة خاصة عن مبادئ الإسلام، وعن قواعد الإيمان والتوحيد؟ ويسألهم كيف يطبقون أركان الإسلام؟ ويسألهم عن الطهارة الكبرى والصغرى وعن أحكام الحيض، والنفاس، والعدة، وما إلى ذلك من الأحكام الفقهية الضرورية... وهو أثناء كل ذلك يعظ وينذر ويبشر... وكان لا يغادر المكان الذي توجه إليه إلا بعد ما يأخذ العهد من الأعيان والوجهاء على التزام الجادة، وعلى إقامة الصلوات في أوقاتها، ويطلب منهم أن يعدوه على عدم استعمال الربا في المعاملات التجارية وغيرها... وكانت عادة الشيخ الهبطي أنه إذا دخل مدشرا من المداشر فإنه يقصد المسجد أولا؛ فإذا لم يكن بالمدشر مسجد فإنه يعمل هو وجماعته على بنائه، وفي مثل هذه الحال كان لا يجد أهل المداشر بدا من التعاون معه، وكانت عادته كذلك أنه لا يغادر المجموعة السكنية التي قصدها إلا إذا حارب فيها العوائد الضالة بأية وسيلة يراها ناجحة، فإذا كان الغالب على أهل المدشر مثلا تعاطي الخمور، فإنه كان يعمل على الاتصال بمن يباشر عصرها أو خزنها، ويتلطف معهم ويحذرهم... ولا

يخرج من المدشر إلا وقد أريقت الخمور وتاب متعاطيها وخازنها... وفي هذا الشأن يقول ولده محمد الصغير الهبطي (ت: ١٠٠١هـ) : «بأن والده أراق في سنة واحدة ما يزيد عن ألفين من الدنان».

وكان يستعين في نشر دعوته بأصدقائه وتلامذته ومحبيه... وكانت زوجه آمنة بنت علي بن خجو –رحمها الله– تقوم بتعليم النساء ما يتعلق بأمور العقيدة، وما يتعلق بأمور الدين (٥).

أما الشيخ يحيى الزواوي (ت: ٦١١هـ) فقد تصدى لإصلاح المجتمع بتغيير المنكرات المتفشية فيه، بل روي أنه في اليوم الذي توفي فيه وعظ الخلق وصاح وضرب في صدره إلى أن بح صوتُه وانقطع(٦).

ومما يذكر في هذا المجال الشيخ أبو محمد صالح الماجري دفين أسفي (ت: ٦٣١هـ) فقد بذل جهودا كبيرة في إزاحة الحواجز التي كانت تعترض الناس في طريقهم إلى الحج، فأمن الطرقات ونظم الرحلات، حتى حجه كل قادر عليه وعاجز.

هذا علاوة على مناهضة الصوفية المغاربة للانحرافات الاجتماعية وذلك بالتصدي لأهل الدعارة، ومنع أسباب شيوع المسكرات بأشكالها المختلفة، كما قاموا ببناء المساجد بالوادي، وجعلوا الرباطات مجالا للتزكية والتعليم، وفي ذات الوقت مكانا للوعظ والإرشاد. كما كان لها تأثير كبير في بث الآداب والأخلاق والقيم الدينية، خاصة أنها كانت مقصدا لمآت الزوار(٧).

بل إن العمل الدعوي لدى رجال التصوف بالمغرب امتد مجاله إلى بلاد المشرق الإسلامي، ومن الأمثلة على ذلك الشيخ القاضي أبو الحسن علي بن ميمون بن أبي بكر الشريف الحسني (ت: ٩١٧هـ) الذي طبقت علومه الآفاق، حيث إنه لما قدم إلى بلاد المشرق انتشرت علومه هناك ودعا الخلق إلى الحق، فهدى الله به من سبقت له العناية من عباده، وخلف الفحول من تلاميذه(٨).

كما أن الدعوة في نشر تعاليم الإسلام قد بلغت عند الصوفية أوجها، امتزجت عندهم بالصدق في القول والعمل، والاستقامة في السلوك والمعاملة، والصفاء في الأحوال، فكانوا نماذج للاهتداء الخُلقي، وما انتشار الإسلام في مناطق عديدة ونائية، إلا دليلا على نجاعة المنهاج السلوكي في الأخذ بمجامع القلوب، والنفاذ إلى مكامن الشعور بطريق الحكمة والموعظة الحسنة وصدق الطوية وسلامة الصدر، وهذا المعنى نجده في قصة الإمام أبي مدين شعيب ابن الحسين

الأنصاري الشهير بالغوث (ت: ٥٩٤هـ) حين رحلته إلى فاس، حيث كان لا يثبت على شيء من كلام فقهائها، إلى أن جلس في حلقة الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن حِرزهم (ت: ٥٥٩هـ) الذي وقر كلامه في قلبه، فحين أخبره بذلك، قال: "هؤلاء يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان. وقصدت الله بكلامي فيخرج من القلب ويدخل القلب"(٩). فهي ليست دعوة قولية فحسب، وإنما هي أقوال وأفعال وأحوال أيضا.

فظهر أن أهل التصوف قد بلغوا مبلغا كبيرا في العمل الدعوي بكل تجلياته، مستثمرين جميع قدراتهم لاستيعاب فئات المجتمع، غير مقتصرين على مسلك واحد(١٠).

وفضلا عن ذلك فإن صناعة أمن المجتمع عن طريق الدعوة يتجاوز مستوى الدعوة إلى الإسلام وشعائره التعبدية إلى ما هو أعمق، أي ترسيخ الأخلاق الاجتماعية في سلوك الناس ومعاملاتهم من أجل إصلاحهم وإصلاح مجتمعهم والحفاظ على سلامه وأمنه واستقراره وتماسكه. ولا غرو إذن أن صناعة المجتمع الآمن من خلال الدعوة كان مفتاحا زاد من تعزيز مكانة الصوفي داخل مجتمعه، وأصبغ عليه صبغة الفعالية والجدوى ومن ثم الامتداد.

الفرع الثاني: التصوف والعمل الخيري والتكافل الاجتماعي

إن المقاربة الصوفية هي عملٌ على مستوى العمق الإنساني، ولا تكتفي بالتغيير الذي يقف عند حدود بعض المظاهر السلوكية التي سرعان ما تتبدل عند مواجهة أزمات الحياة وضغوطها، بل تجاوزها إلى ربط سلوك الأفراد وتخلقهم بأخلاق الإسلام وعروجهم في مدارج السالكين إلى الله تعالى بآثاره الإيجابية في المجتمع والواقع الذي يعيشونه، كما أن توجه الصوفي إلى الاهتمام بالواقع الاجتماعي لا يعني انحصار النظر في جانبه المادي فقط، وإنما تبقى دلالة مرتبطة بالعالم المطلق، ومن ثمة فالصوفي من جهة يشارك غيره بالنفع والانتفاع بالأسباب المادية، ومن ناحية أخرى فهو يستشرف بها الأفضال الإلهية، باعتبار أن الأعمال هي مواطن للتقرب من المولى عز وجل.

ومن ثم برز التصوف المغربي في المجتمع بسبب صبغته العملية، ولذلك استطاع أن ينفذ إلى مجالات الحياة، ويستقطب مختلف الطبقات، بما يمتلكه من قدرات على التكيف مع ظروف المجتمع وشرائحه المختلفة(١١).

ذلك بأن أهم وظيفة تميز بها التصوف المغربي هو قربه من الحياة الاجتماعية للناس، واحتضانه لمشاغل المجتمع وهمومه، عبر خدمة قضاياه الاجتماعية والأمنية والتنموية، والسهر على مصالحه وتحقيق وحدة مكوناته المختلفة.

هذا، وقد عمل السادة الصوفية بالمغرب على مدى تاريخهم على الجمع بين السلوك إلى الله تعالى، والعناية بالمجتمع، في وحدة متكاملة لا يمكن الفصل بينها.

فلا شك إذن أن مشاركة الصوفية للناس في حياتهم الاجتماعية جعل مكانتهم تزيد في قلوب الخاصة والعامة، وتتمثل وظيفتهم الاجتماعية في أشياء كثيرة؛ منها: قضاء حوائج الناس، وإنشاء المستشفيات لعلاج المرضى من الفقراء وذوي العاهات، وأيضا الحيوانات مثلما فعل الصوفي محمد بن موسى الحلفاوي.

بل امتد الأمر إلى أبعد من ذلك، كما نرى هذا عند الشيخ أبي الحسن علي اللجائي الذي ذهب في خدمته للمجتمع مذهبا عظيما، إذ كان لهذا الرجل سعي حثيث في قضاء حوائج الناس، وتوزيع الصدقات على الفقراء والمحتاجين، وكان يأخذ في إيصال الحقوق إلى أصحابها، وينصر المظلوم ويجري على المحتاجين رواتب يومية لتسد حاجتهم من مأكل وملبس ومشرب، حتى يكفيهم ذل السؤال، وكان يعين غير القادرين على الزواج فيزوجهم، وكان يمشي حافيا في الطين في قضاء حوائج الناس(١٢).

بل امتد عمل المتصوفة المغاربة إلى الصلح بين الجماعات والقبائل، حفاظا على سلامة المجتمع من الأحقاد والثأر والكراهية.

ومن ثم لقد برز التصوف مؤسسة فاعلة في المجال الاجتماعي، وذلك بتقديم كل ما من شأنه أن يخفف من الصدمات والآلام، ويفرج الكربات والهموم عن المسلمين.

ذلك بأن الصوفية اتخذ عندهم العمل الاجتماعي صبغة تربوية، يطلب من خلاله الترقي في مقامات القرب، حتى قال بعض الصالحين: "طلبنا التوفيق، فوجدناه في إطعام الطعام"(١٣).

والتصوف إذا كان مداره على التزكية والعروج الروحي وترقية النفس في مدارج السلوك إلى الله تعالى، فإن له تجليات على المجتمع، ومن هذه التجليات ما يظهر في أعمال التضامن والتكافل، وحب الخير للناس، والحلم والتسامح ومخاطبة الوجدان والقلوب وإسماع الفطرة، بما ينفعها ويقومها.

وهكذا تميز العمل الصوفي المغربي بالإسهام في الحياة العملية مع ترك الحظوظ وإفراد الله بالقصد في الأعمال، وامتاز بالتحذير من ترك الأسباب والنهي عنها؛ حيث مارس الصوفية المغاربة التدريس والتجارة والزراعة، واتخذوا الحِرف، وأمروا بالاجتهاد في العمل وإتقانه، وانخرطوا في كل مجالات الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية... حتى اشتهر عنهم قولهم: (الصوفي ابن وقته).

بل نجد الشيخ أبا العباس السّبتي دفين مراكش (ت: ١٢٠٤هـ)-رحمه الله- أعطى لمفهوم الإحسان والصدقة مدلولا واسعا؛ حيث ربطه بكل مناحي السلوك الديني، وبنى منهاجه التربوي السلوكي على ذلك المفهوم، فكان يعمل على تزكية نفوس أصحابه من خلال نزع مواطن الشح والبخل التي قد تعتري المريد في سيره إلى الله، وتحليتها بأخلاق العطاء والجود والكرم. وكان يجلس في الأسواق والطرق ليحض الناس على البذل والعطاء والجود والكرم مرددا كلماته الخالدة: (أصل الخير الإحسان، وأصل الشر البخل). وقد اشتهر مذهبه أيما اشتهار حتى نعته معاصره الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي الحاتمي في فتوحاته المكية بصاحب الصدقة في مراكش. وقال عنه ابن رشد: "هذا رجل مذهبه أن الوجود ينفعل بالجود"(١٤).

وفتحت هذه الدعوة حركة وتنافسا داخل المجتمع، كان من مظاهرها تأسيس زوايا ورباطات وملاجئ في مختلف أنحاء المغرب، عملها إيواء العجزة والمستضعفين والفقراء والمحتاجين والطلبة، فيجدون فيها الطعام السائغ والفراش الوديع.

هكذا تبقى الزوايا أحد المؤسسات الاجتماعية الفاعلة داخل المجتمع المغربي، والتي تروم ملامسة الواقع في كل تجلياته الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية...

لذلك فإن العمل التضامني والتكافل الاجتماعي هو عنوان انفتاح المؤسسة الصوفية على الواقع المعيش، باعتبار أن ذلك لا ينفك عن التزكية الروحية، فالعمل الاجتماعي بالنسبة للصوفي هو وسيلة للرقي في مدارج الإحسان، وسبب لتصفية الباطن من قيود المادة وتحريره أغلال الدنيا، كما أن العمل التربوي قد يتجلى عن طريق العمل الاجتماعي، قصد تربية السالكين على النفع والعطاء تجاه المسلمين(١٥).

وعلى هذا الأساس لا نستغرب إذا وجدنا رجال التصوف الذين كانوا في أغلبهم من العامة، سواء في الحواضر أو البوادي، يشاطرون السكان مشاغلهم المعيشية، ويتدخلون لإيجاد الحلول

لها، وهذا يعني أنهم لم يشكلوا قط فئة منعزلة عن المجتمع واهتماماته. فهذا الشيخ أبو شعيب أيوب الصنهاجي دفين أزمور (ت: ٥٦١هـ) –رحمه الله– كان يقول: "إن الله تعالى يعطي الدنيا كما يعطي الآخرة، فمن كانت له حاجة من حوائج الدنيا، فليذكرها لنسأل الله تعالى في قضاء حاجته"(١٦).

كما كان رجال التصوف يقدمون الطعام للمحتاجين؛ ففي إحدى السنوات العجاف، تصدق الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي بن أبي العباس (ت: ١١٠٩هـ) –رحمه الله– على سكان فاس بألف صحفة من القمح(١٧)، وفي ظرف مماثل جمع الشيخ أبو زكرياء يحيى بن محمد التادلي (ت: ٥٧٦هـ)–رحمه الله– فقراء جامع علي بن يوسف بمراكش وتصدق عليهم(١٨). أما الشيخ أبو حفص عمر بن معاذ الصنهاجي (ت: ٥٦١هـ) فقد جمع في مجاعة سنة خمسة وثلاثين وخمسمائة خلقا كثيرا من المساكين، فكان يقوم بمؤونتهم، وينفق عليهم ما يصطاده من الحوت وغيره إلى أن أخصب الناس(١٩).

وهنا وجب التنبيه على أن هذا السلوك الاجتماعي والعمل الإحساني لا يتسم بالظرفية المرتبطة فقط بمواجهة الصعوبات المعيشية، ذلك بأن تقديم العون للفقراء كان من مقومات الأخلاق الاجتماعية لرجال التصوف، ومظهرا جليا من مظاهر رغبتهم في التخفيف من حدة مشكلات التباين الاجتماعي.

وقد اشتهر الشيخ أبو يعزى (ت: ٥٧٢هـ) –رحمه الله– بإكرام زواره، إذ كان يطعمهم أطيب الطعام والعسل ولحوم الضأن والدجاج والفواكه الطيبة، فقد شمل تأثيره أيضا سكان القرى المجاورة له الذين أصبح من عادتهم ضيافة الوافدين على الشيخ(٢٠).

أما الشيخ عبد الله الغزواني (ت: ٩٣٥هـ) –رحمه الله– فبعد أن استقر بمراكش كان يشتغل بالحراثة والبساتين، وينفق دخله على ذوي الحاجات ويكتفي بأبسط الطعام. وكان مولعا بحفر السواقي ويكلف أصحابه بالفلاحة واستخراج الماء.. وكان يلزم تلاميذه ومريديه بهذه الأعمال كشرط أساسي في تربيتهم الصوفية.

ومما يعبر عن صناعة أمن المجتمع عن طريق التضامن والتكافل ما جاء عن الشيخ الغزواني–رحمه الله– حيث كان يطعم الطلبة والمريدين وعامة الناس خصوصا خلال المجاعات والأوبئة، بالإضافة إلى حفره السواقي والآبار؛ ويحث على ذلك بقوله: "من حفر ساقية صنع

للناس طعاما". وذلك من أجل توفير الأمن الغذائي، والترفيه عن الناس، وإغاثة اللهفان عبر استصلاح الأراضي وشق السواقي والتفنن في "علم الفلاحة" وإحداث البساتين والمشاتل، وإدماج كل هذا ضمن التربية الصوفية والالتزام المبدئي..

وفضلا عن ذلك فإن تسمية الطريقة البودشيشية يرجع إلى شيخ طريقتها الذي حمل لقب (الشيخ علي بودشيش) لأنه كان يطعم الناس أيام المجاعة طعام "الدشيشة" بزاويته(٢١).

أما عند الشيخ الناصري (أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المتوفى سنة ١١٢٩هـ) فقد كان يأوي إلى زاويته الكثير من الفقراء والمساكين والفقهاء وطلبة العلم والمدرسين، وغيرهم.

وبنى لها مرافق مجاورة من مساجد ومدارس ومساكن وإقامات للطلبة وحمامات ومرافق خاصة بالنساء وأخرى للرجال... حتى ذاعت شهرة الزاوية ذيوعا جعل نفوذها يزيد اتساعا.

كما تجلت صناعة المجتمع الآمن في محاربة الشيخ الناصري –رحمه الله– لظواهر السلب والنهب، وقطع الطريق، والتصدي للعادات والتقاليد المنحرفة، كما كان يتوسط بين القبائل المتناحرة ويصلح بينها، ويأمرها أن تتعهد كتابة بالالتزام بالصلح ومقتضياته، ويعطي كل فريق نسخة منه، ولا يغادر الشيخ القبيلة إلا بعد أن يشاهد الناس يتبادلون الضيافة ويصافح بعضهم بعضا.

ولم يكتف الشيخ الناصري بفض النزاعات، وإقرار الأمن بين السكان؛ بل توسط حتى بين الحكام وبعض الخارجين عن طاعتهم.

أضف إلى ذلك ما كانت تمتلكه الزاوية الناصرين من الأراضي والمياه والمراعي، واشتهرت أراضيها بخصوبة تربتها ونماء مراعيها، وأسهمت إسهاما كبيرا في الرحلة التجارية التي كانت القوافل تقوم بها بين المغرب وبلاد السودان، إما عن طريق مشاركة الزاوية مباشرة في تلك القوافل، وإما عن طريق ما كان شيوخها يقومون به من خفارة للقوافل... فأسهم كل هذا إسهاما كبيرا في تحقيق الأمن الاجتماعي المجتمع واستقراره والحفاظ على تماسكه.

الفرع الثالث: الحضور الصوفي في مجال العلم والتعليم

كانت الزوايا المغربية عبارة عن مؤسسات للتنمية المعرفية ينخرط فيها المغاربة وغيرهم منذ البدايات الأولى للتحصيل العلمي إلى المستويات العليا في المعرفة، فتخرج منها جلة العلماء الذين كانت لهم مشاركات في جل العلوم النقلية والعقلية.

أضف إلى ذلك إنشاء المكتبات في الزوايا، ونسخ الكتب المهمة في شتى المجالات الشرعية، وإلزام المريدين باستنساخ بعض الكتب المهمة، وشراء أخرى، فضلا عن وقف الكتب على الخزائن المغربية العامة.

كما كانت الزوايا المغربية مقرا للوراقة والنساخة على عدة مستويات، سواء في نسخ أمهات الكتب أو زخرفتها وتزيينها أو إصلاحها وتسفيرها أو غير ذلك.

وخير أنموذج على ذلك زاوية الشيخ الناصري بتامكروت، حيث أشادت المصادر بجهود الشيخ الناصري في سبيل تعزيز مكانة زاويته التي أصبحت أحد المراكز العلمية الكبرى في بلاد المغرب في القرن الحادي عشر الهجري/١٧م، فقصده العلماء وطلبة العلم من مختلف الآفاق. كما كان مدرسة متنقلة تعلق به الطلبة والعلماء أينما حل وارتحل، ويعقد لهم حلقات علمية، وكان يختم أثناء رحلة واحدة كراسات في مختلف العلوم والفنون...

كما جعل لزاويته خزانة علمية كبيرة، تناهز محتوياتها آلاف الكتب النفيسة، في مختلف العلوم المعروفة يومئذ، مع غلبة كتب الفقه والتصوف، والنحو والتوحيد والعقيدة والحديث، والرسم والقراءات، والتي تشكل ما ينيف عن ستين في المائة.

أضف إلى كل ذلك ما تركه رجال الصوفية الكرام من مصنفات نفيسة، وأسفار ثمينة في مختلف علوم الشريعة والحقيقة، نظما ونثرا، التي تؤكد معرفة هؤلاء الصوفية بالعلوم الكشفية وعلوم الشريعة والحقيقة، وعمق أفكارهم وثقافتهم الدينية، وقوة شخصيتهم الروحية، وإنشائهم للمكتبة الإسلامية، واهتماهم بالعلم والتعليم.. فأسهموا بذلك في محاربة الجهل والأمية في المجتمع، وشاركوا في رفع مستوى الوعي فيه، تحقيقا لتنميته المعرفية وبناء لصرح الأمن الفكري والديني فيه.

يضاف إلى كل ما تقدم اهتمام صوفية المغرب بالمساجد وتعميرها والقيام بالوظائف الخاصة بها، من إمامة وخطابة ووعظ وتوعية دينية للناس.

ولقد أسهم أعلام التصوف بالمغرب إسهاما كبيرا في ازدهار الحياة الفكرية والدينية للمجتمع، وكان لهم أثر كبير في إثراء الحياة العلمية سواء بمؤلفاتهم أو بالعلوم العقلية (علوم الحساب والفلك والتنجيم والهندسة والطب...) والنقلية (علوم القرآن والتفسير والحديث والسيرة والفقه

وأصوله والفرائض والتصوف واللغة العربية والنحو والشعر والتاريخ..) والفنون المختلفة التي نبغوا فيها، أو بتصدرهم للتدريس أو بإنشائهم للمكتبات والمعاهد العلمية والكتاتيب القرآنية..

الفرع الرابع: صناعة أمن المجتمع وحمايته والدفاع عنه

لقد كان الظن برجال التصوف أنهم لاذوا بشعاب الجبال وانحصروا في جهاد النفس فقط، لكن أهل الله وقد تحقق لهم الكمال على أفضل نسق، لم يكن ليفوتهم لله واجب. لذلك لم يقتصر عملهم على صناعة أمن المجتمع من خلال الدعوة والتعليم والتكافل والإحسان إلى الناس، بل عمِلوا على حماية أمن المجتمع عن طريق الذود عن ثغوره وحمايتها من كل المتربصين بها، والوقائع التاريخية شاهدة على جهودهم الكفاحية في الدفاع عن الأوطان، والذب عن الإنسان... لقد ملأوا صوامعهم بالدموع المنثالة من خشية الله، وملأوا ساحة الوغى بدمائهم المهراقة.

ويتبدى ذلك في الآتي:

أ)-حفظ أمن المجتمع داخليا:

حيث كان الصوفية الكرام ملجأ لفض النزاعات التي كانت تنشب بين أهل الإسلام، حيث تذكر التراجم العديد من الاصطدامات التي قابلها الصوفية بحكمة ورزانة، إبعادا لكل ما من شأنه أن يؤثر في روابط المحبة التي ينبغي أن تسود بين المسلمين.

من ذلك ما حكاه الشفشاوني عن عبد الله الجابري الرهوني الذي كان -رحمه الله- إذا هاجت الفتن بين القبائل يخرج فيدعو الناس إلى العافية، فمن تأبّى عنها أظهر الله فيه الاعتبار بقدرته في الحال، ولم تقم له قائمة، ولما اشتهر بذلك انقاد له الخلائق، فلم يقدر أحد على مخالفة أمره أو رد شفاعته...(٢٢).

إن العمل الصوفي في اتجاه صناعة الأمن الاجتماعي الداخلي، كان له هدف تقوية أواصر المحبة بين المسلمين، فقد جاء في كتاب دوحة الناشر عن الشيخ محمد ابن المبارك-رحمه الله- أنه كان إذا هاجت فتن القبائل يبعث لهم بالكف عن القتال، فمن تعدّى أمره عجلت عقوبته في الوقت، وصار ذلك من الأمر المتعارف عند البعيد والقريب. ثم إنه وضع أياما معلومة في كل شهر يسمونها أيام سيدي محمد بن المبارك، لا يحمل فها سلاحا ولا يقدر أحد على المشاجرة فيها، ويجتمع الرجل مع قاتل أبيه وولده وما يقدر أن يكلمه، وذلك شائع عند قبائل العرب والبربر من أهل سوس وغيرهم.

كل ذلك يدل على فاعلية التصوف في بث الاطمئنان في شعور المسلمين، حتى يؤدوا ما فرض الله تعالى بقلب مطمئن(٢٣).

هذا فضلا عن حفظ الصوفية الكرام للأمن الاجتماعي عن طريق القيم الروحية والمحامد الخلقية التي قاموا بترسيخها في الحياة الاجتماعية وفي سلوك الأفراد.

ب)-حفظ أمن المجتمع خارجيا بصد المعتدين عليه:

إذا كان السادة الصوفية الكرام قد بذلوا جهودا كبيرة من أجل صناعة الأمن الداخلي للمجتمع، فإنهم كذلك عملوا على صيانة أمنه الخارجي بصد الغزاة المعتدين عنه.

ولقد قدم الصوفية الكرام أروع المشاهد في الدفاع عن أمن المجتمع، حيث ذكرت مجموعة من كتب التراجم والتاريخ، مواقف عظيمة لشيوخ التصوف، ومشاركتهم الفعلية في الحروب التي قادها المسلمون ضد أعداء الإسلام، وأهميتهم الكبيرة في تعبئة المنتسبين للتصوف أو غيرهم، من أجل التصدي لهجمات الاحتلال(٢٤).

ومن ثم فإن وظيفة لم تقتصر الزوايا على الجوانب الدعوية والعلمية والتكافلية، بل تجاوزتها إلى وظائف اجتماعية أخرى، فالحقائق التاريخية تؤكد أن الزوايا والرباطات الصوفية كان لها حضور متميز بالمغرب خاصة في ميدان الجهاد والمقاومة، حيث اضطلعت شخصيات كثيرة من أهل العلم والولاية والتصوف بالدعوة، والجهاد، وقد سجل لهم التاريخ مواقف في مواجهة الاحتلال الأجنبي دفاعا عن استقلال الوطن وكرامته.

ومن هؤلاء الرجالات الذي كان لهم حظ من الزعامة الروحية والقيادة الجهادية الإمام امحمد بن سليمان الجزولي السملالي الذي جمع في تصوفه الرائد بين التزكية والجهاد، إصلاحا للإنسان وحفظا لأمن الأوطان، وكان من أعمدة التجديد الصوفي الذين حملوا هموم المجتمع وتصدوا للدفاع عن هويته الروحية، وعن ثغوره وأرضه.

إن شهرة الإمام الجزولي-رحمه الله-وتأثيره القوي في مختلف أوساط المجتمع، وتكاثر أتباعه ومريديه، وتزعم زاويته لمقاومة الاحتلال الأجنبي، ستلهب المخاوف في أكثر من جهة، وتعجل بتحريك آلة الدسيسة من أجل التخلص منه، وتسريع عملية اغتياله بالسم سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٤م..

ومن ثم يعد الجزولي أول من فتح طريقته لاحتضان المقاومة الشعبية بصورة جماعية وتلقائية في المغرب. وبذلك تجاوز الاقتصار على الذِكر والسبحة والعبادة بمعزل عن قضايا مجتمعه في مساره الصوفي، بل تعداه إلى حد الظهور بمظهر الرجل المنظم والمخطط(٢٥).

ومن الأمثلة كذلك مقاومة شيوخ الطرق الصوفية بالمغرب للمحتل الأجنبي، ومنهم مقاومة الشيخ المختار الثاني البودشيشي–رحمه الله– المناوشات والتحرشات الفرنسية على الحدود الشمالية الشرقية بعد احتلال الجزائر(٢٦).

وسار على نهجه ابنه الشيخ المختار الثالث في مقاومة المحتل الفرنسي، وقد برزت مكانة الشيخ المختار الروحية وشخصيته الوطنية إذ جمع بين الجهاد الأكبر وهو مجاهدة النفس وشرورها والجهاد الأصغر وهو المقاومة المسلحة للمستعمر الأجنبي وذلك حسب الظروف ومقتضى الجهاد وحال البلاد، عرف بين قبائل بني يزناسن في هذه المنطقة الحساسة القريبة للحدود، بعد احتلال مدينة وجدة من قبل الاستعمار الفرنسي، ومنذ احتلال الفرنسين الجزائر، أصبح حتميا سواء بالنسبة لاستقرار الجزائر أو بالنسبة لمستقبل مشروع الإمبراطورية الفرنسية في جنوب حوض البحر الأبيض المتوسط أن تدخل فرنسا في مواجهات مع المغرب(٢٧).

ومن ثم فإن" ثقافة المقاومة" أمر متأصل في هذه الطريقة ومتوارث بين أفرادها وأقطابها، كالشيخ سيدي المختار الكبير وجهاده مع الأمير عبد القادر الجزائري، وكذا سيدي المختار المجاهد ودور سيدي بومدين معه وبجانبه..(٢٨). وغيرهم من شيوخ الطريقة.

وفضلا عن ذلك فقد جاء في دوحة الناشر سرد لعدد من أكابر رجال التصوف وعملهم الجهادي المتواصل عند كل فترة تستدعي القيام بتدخل فعلي ضد قوى الغزو، ومن ذلك ما حكي عن الشيخ أحمد بن القاضي الزواوي–رحمه الله– الذي كان من الفضلاء الأخيار، والصلحاء الأبرار، مجتهدا باذلا نفسه وماله في إقامة شعائر الدين، وغزو أعداء الله (٢٩).

كما عكف قاضي شفشاون الشيخ الصوفي علي بن ميمون على غزو الإفرنج في السواحل، فاجتمع له عدد كبير من الغزاة وولوه قيادتهم.

وغيرهم من الصلحاء الذين مروا عبر التاريخ، والذي يعجز المقام عن استقصاء مواقفهم البطولية المستمرة، حيث كانت الزوايا مراكز لشحذ الذمم ورفع الهمم وصنع القرار الذي من شأنه أن يحفظ الهوية الدينية للمسلمين.

ونلتقي في المصادر بالمئات من الصوفيين المتطوعين من أهل القرن الثالث الهجري خرجوا من ديارهم ووقفوا حياتهم على جهاد الروم، ودرء خطرهم عن بلاد الشام، والجزيرة الفراتية، وكان مشايخهم يرافقونهم للموعظة والإرشاد، وبث الحماسة الدينية في نفوس المجاهدين، والتذكير بما أعد الله لهم من ثواب عظيم. هذا وإذا لزم الأمر تقدموا الصفوف(٣٠).

وفي هذا الدليل القاطع على أن التصوف لا يمكن وصفه بالخمول والكسل، والضعف والخنوع، والتهاون عن منازلة الغزاة والمعتدين على أرض الإسلام، بل هو سير ورحلة ومحبة وجهاد بكل أنواعه، وهو أيضا ما جاء به أصحاب سيدنا محمد ﷺ من الرضا عن الله، ولزوم التقوى، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة الغراء، والتخلق بالقيم الكلية التي فطر الله الإنسان عليها، والقيام لله بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار آخر، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، وسلامة الصدر وخفض الجناح للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وعليه فإن الوطنية عند رجال التصوف بالمغرب ليست فقط وفاء للأرض، ولكن أيضا لكل ما يرتبط بها، ولكل ما تثمره من خيرات حسية ومعنوية، وقد ساروا بهذا على نهج السلف الصالح الذين كانوا يعتبرون حب الأوطان من الإيمان... فالوطنية تنبني عند الصوفية على أساس ديني، مما يجعلها تنبذ العنصرية والطائفية والتعصب العرقي، وتسعى إلى أن يصبح الوطن فضاء للمحبة والتسامح والتضامن والتكافل.

وكان للزوايا والرباطات الصوفية بالغ الأثر في تدعيم وتعميق هذا الواقع وبلورته في أجلى صوره، بارتباط مع أزمات القرن المتولدة عن الغزو والاحتلال. وهي الشعلة التي تناوبت على إذكاء نورها نخبة خيرة من الصلحاء المجاهدين.

فكل هذه المواقف لا يمكن أن تزيدنا إلا يقينا في إقرار الأثر الصوفي في الواقع، وتفاعله في المجتمع، وخدمة قضاياه وصناعة لأمنه، وذودا عن حماه، بإخلاص ونكران الذات، قياما بواجب الحفاظ على المقدسات والثوابت الدينية، مع الانفتاح على بقية الأوطان والأمم، بتعبئة كل الطاقات والقدرات، من أجل الإسهام في ازدهار المجتمع الإنساني ورقيه والحفاظ على أمنه واستقراره وسيره..(٣١).

الخاتمة:

إن صناعة المجتمع الآمن تبدأ من الأمن الروحي والسلام القلبي للفرد، ذلك بأن معرفة الله تعالى ومحبته تثمر الأمن وتصنعه وتنميه.

ولم يكن التصوف ذا بعد فردي فقط، بل كانت له أبعاد اجتماعية عديدة، وكان حاضرا في المجتمع، مهتما بقضاياه ومشكلاته، دافعا عن أمنه واستقراره.

وقد ترك التصوف المغربي بصماته الواضحة المعالم على صفحة المجتمع: تنمية وأمنا واستقرارا.. وأسهم إسهاما كبيرا في إصلاح أحوال المجتمع عن طريق الدعوة والتكافل والتضامن والتعليم وتخليق الحياة العامة.

والحمد لله في البدء والختام والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام وآله وصحبه الكرام.

الهوامش:

[1]- صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ح٥٢. صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ح١٥٩٩.

[2]- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس الرباط، ط: ٢٠١٠م، ص٤١١.

[3]- صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، ح٢٨٤٧. صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ح٢٤٠٦.

[4]- دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، مطبعة الكرامة، الرباط، ط: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٢٠.

[5]- مجلة دعوة الحق، العدد ١٩٦.

[6]- التشوف، ص٤٢٨.

[7]- في أصول التصوف بالمغرب، عبد الجليل العلمي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس الرباط، ط١: ٢٠١٤م، ص١٢١ وما بعدها.

[8]- دوحة الناشر، ص٣٣-٣٤.

[9]- التشوف، ص٣٢٠

[10]- ينظر: منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب، ربيعة سحنون، طارق العلمي، منشورات مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء، ط١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص١١٨.

[١١]- المرجع نفسه، ص١١٨.

[١٢]- التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين، محمد كمال كامل، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١: ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م، ص١٦٠.

[١٣]- أنس الفقير وعز الحقير، لأبي العباس أحمد بن الحسين المعروف بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، ط١: ١٤٢٢هـ، ص٥٩.

[١٤]- التشوف، ص٤٥٤.

[١٥]- منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب، ص١٢٤.

[١٦]- التشوف، ص١٨٩.

[١٧]- نفسه، ص٣٣٣.

[١٨]- نفسه، ص٢٤٥.

[١٩]- نفسه، ص١٨٣.

[٢٠]- في أصول التصوف بالمغرب، ص١٣٦.

[٢١]-مساهمة في الكشف عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجا، أحمد الغزالي، مطبعة البلابل، فاس، ط: ١٩٩٨، ص٥٨.

[٢٢]- دوحة الناشر، ص٣٩.

[٢٣]- منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب، ص١٢٥.

[٢٤]- نفسه.

[٢٥]- الأولياء في المغرب، محمد جنبوبي، ص١٨٦ وما بعدها.

[٢٦]- بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، قدور الوطاسي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، ص٧٦.

[٢٧]- ينظر مجلة: قوت القلوب، العدد المزدوج: ٥ – ٦ ،١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م. مساهمة في الكشف عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجا، ص ٦٠.

[٢٨]- ينظر موقع الطريقة: http://www.boutchichiya.com

[٢٩]- دوحة الناشر، ص١١٤.

[٣٠]- البطولة والفداء عند الصوفية: دراسة تاريخية، أسعد الخطيب، دار التقوى، دمشق، ص٦٩.

[٣١]- القيم الروحية والمواطنة: نحو مواطنة إنسانية، منير القادري بوتشيش، مجلة الإشارة، العدد ٣١، ٢٠٠٧م، ص٣.

المصادر والمراجع:

– أنس الفقير وعز الحقير، لأبي العباس أحمد بن الحسين المعروف بابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: أبو سهل نجاح عوض صيام، دار المقطم، القاهرة، ط١: ١٤٢٢هـ.

– الأولياء في المغرب، محمد جنبوبي، منشورات كنال أوجوردوي الرباط ٢٠٠٦.

– البطولة والفداء عند الصوفية: دراسة تاريخية، أسعد الخطيب، دار التقوى، دمشق.

–بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، قدور الوطاسي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.

– التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المعروف بابن الزيات، تحقيق: أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس الرباط، ط: ٢٠١٠م.

– التصوف والمتصوفة في المغرب الأقصى في عصر بني مرين، محمد كمال كامل، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١: ١٤٣٥هـ/٢٠١٥م.

– دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق: محمد حجي، مطبعة الكرامة، الرباط، ط: ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت: دار ابن كثير ، اليمامة، ط ٣/١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

– صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، ابن الحجاج أبو الحسن مسلم القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

– في أصول التصوف بالمغرب، عبد الجليل العلمي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس الرباط، ط١.

– القيم الروحية والمواطنة: نحو مواطنة إنسانية، منير القادري بوتشيش، مجلة الإشارة، العدد ٣١، ٢٠٠٧م.

– مساهمة في الكشف عن زوايا بني يزناسن القادرية البودشيشية نموذجا، أحمد الغزالي، مطبعة البلابل، فاس، ط: ١٩٩٨.

– منهج الإمام الجنيد في السلوك وخصائص الممارسة الصوفية بالمغرب، ربيعة سحنون، طارق العلمي، منشورات مركز الإمام الجنيد للدراسات والبحوث الصوفية المتخصصة التابع للرابطة المحمدية للعلماء، ط١: ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

– مجلة: قوت القلوب، العدد المزدوج: ٥ – ٦، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م.